

## عبادتنا الليتورجية هي ترتيب عقائدنا الإيمانية (الجزء الثاني)

### ثامناً: حلول الروح القدس على التلاميذ وعلينا في يوم الخميس في بعض النصوص الليتورجية وعند بعض آباء الكنيسة

#### المحتويات

- ١ ..... حلول الروح القدس علينا في بعض النصوص الليتورجية
- ٣ ..... حلول الروح القدس علينا في فكر آباء الكنيسة
- ٣ ..... • كان يلزم أن يصعد المسيح إلى السماء، لكي يحل فينا الروح القدس
- ٣ ..... • العلاقة بين نفخة الرب للروح القدس في وجه التلاميذ وبين إرسال الروح القدس يوم الخميس
- ٥ ..... • الروح القدس هو الذي يطبع فينا صورة المسيح لتنتقل إلينا كل أفعال المسيح الخلاصية التي أكملها من أجلنا
- ٦ ..... • الروح القدس الواحد هو الذي يهب المواهب المتنوعة للكنيسة

#### (١) حلول الروح القدس علينا في بعض النصوص الليتورجية

القدّاس الباسيلي .....

– ”تجسّد من الروح القدس، ومن مريم العذراء“<sup>(١)</sup>.

– ”أنت يا سيّدنا اجعلنا مستوجبين بقوة روحك القدوس، أن نكمّل هذه الخدمة لكي بغير وقوع في دينونة أمام مجدك العظيم، نقدّم لك صعيدة البركة مجداً وعظم بهاء في قدسك ... بالمسيح يسوع ربّنا هذا الذي من قبله ومعها، لك المجد والإكرام والعز، مع الكلّي قدسه، الصّالح صانع الحياة، روحك المساوي لك في الجوهر، الآن وكلّ أوان وإلى آباد الدهور. آمين“<sup>(٢)</sup>.

– ”ونسألك أيها الربّ إلهنا، نحن الخطاة ... ليحل روح قدسك علينا، وعلى هذه القرايين الموضوعه ويظهرها، ويظهرها قدساً للقدّيسين“.

– ”نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، لكي إذ طهرتنا كلّنا، تؤلّفنا بك من جهة تناولنا من أسرارك الإلهية، لكي نكون مملوئين من روحك القدوس“.

– ”نتضرّع إليك يا إلهنا نحن الخطاة وغير المستحقين والمساكين، ونسجد لك بمسرة صلاحك. لكي يأتي روحك القدوس علينا وعلى هذه القرايين الموضوعه، لكي يُقدّسها ويظهرها قدسات للقدّيسين“<sup>(٣)</sup>.

١ – تقول ليتورجية التقليد الرسولي هيبوليتس: ”... بمسرتك أرسلته من السماء إلى بطن العذراء، وتجسّد. الذي حُبل به فيها، واستعلن ابنك المولود من الروح القدس، والعذراء“ (التقليد الرسولي ٦:٤).

٢ – هذه الذكصا الحتامية هي كما وردت في مخطوط كسمارسك الذي يورد النص اليوناني للقدّاسات القبطية.

٣ – طبقاً لنص مخطوط الدير الأبيض بسوهاج ويحوي أقدم نص قبطي للقدّاس الباسيلي، وقد نُشر سنة ١٩٦٠ م.

..... القُداس الغريغوري

– ”محبَّة الله الآب، ونعمة الابن الوحيد، وشركة وموهبة وعطية الرُّوح القُدس، تكون مع جميعكم“.

– ”فأنت بنفسك يا سيِّدنا، حوَّل بصوتك هذه (القرايين) الموضوعة، أنت الحاضر (معنا)، أكمل هذه الخدمة السَّريَّة، استرجع لنا بنفسك ذِكر خدمتك. أرسل لنا أنت روحك كَلِّي القداسة، لكي إذ يجلب بحضوره المقدَّس والصَّالح والممَّجد، يُقدِّس هذه القرايين، المكرَّمة، المقدَّسة، الموضوعة، ويجوِّها إلى ذات جسد ودم فدائنا“<sup>(٤)</sup>.

..... القُداس الكيرلُسي

– ”أعطني ياربُّ روحك القُدوس، النَّار غير الهبولة، غير المدركة التي تأكل كلَّ ضعف، وتحرق كلَّ اختراعات الشُّرور، لكي يُميت كلَّ أعضاء الجسد التي على الأرض، ويُلجم كلَّ حركات الفكر التي تقوده إلى الخيالات المملوءة أوجاعاً وآلاماً. وكما يليق بالكهنة، يجعلني فوق كلِّ فكر ميِّت، ويهيني كلمات التَّقديس، لكي أكملَّ هذا القربان الموضوع، الذي هو سرُّ جميع الأسرار، بمعونة وشركة مسيِّحك ...“<sup>(٥)</sup>.

– املاً هذه الصَّعيدة  $\theta\upsilon\sigma\iota\alpha$  (أي: الذبيحة) التي لك ياربُّ بالبركة التي من قبلك، محلول روحك القُدوس عليها“<sup>(٦)</sup>.  
– ”املاًنا نحن أيضاً من مجدك، وتفضَّل وأرسل روحك القُدوس على خليقتك هذه أيضاً، واجعل هذا الخبز جسداً لربِّنا ومخلَّصنا يسوع المسيح، والكأس دماً للعهد الجديد، برِّنا أيضاً ومخلَّصنا يسوع المسيح“<sup>(٧)</sup>.

– ”تفضَّل علينا نحن عبيدك بقوة روحك القُدوس، لتشدِّد ونمو إيماننا، وليكون لنا رجاء الحياة الأبدية، برِّنا يسوع المسيح، الذي لك معه يا أبانا، ومع الرُّوح القُدس، المجد إلى الأبد أمين“<sup>(٧)</sup>.

– ”أرسل إلى أسفل من علوك المقدَّس، ومن مسكنك المستعد ... البارقليط روحك القُدوس ... علينا نحن عبيدك، وعلى هذه القرايين التي لك، المكرَّمة السَّابق وضعها أمامك، على هذا الخبز، وعلى هذه الكأس، لكي يتطهَّرا وينتقلا!“<sup>(٨)</sup>.

– يقول الكاهن: ”من أجل خطاياي خاصة ونجاسات قلبي، لا تحرم شعبك حلول روحك القُدوس“.

..... ليتورجية القُدس سرايون

– ”توسَّل إليك، اجعلنا أناساً أحياء. امنحنا روح النُّور، حتى نعرفك، أنك أنت الحق، ويسوع المسيح الذي أرسلته. امنحنا الرُّوح القُدس، لكي نقدر أن نعلن عن أسرارك التي لا توصف، ونُخبر بها. ليتكلَّم فينا الربُّ يسوع، والرُّوح القُدس، ويسبِّحناك بواسطتنا“.

..... ليتورجية التَّقليد الرُّسولي

– ”نطلب إليك، أن تُرسل روحك القُدوس على قرايين كنيسةك المقدَّسة، مانحاً الوحدة لجميع الذين يشتركون في قُدساتك، ليتمثلوا بالرُّوح القُدس، لتثبيت إيمانهم في الحق“.

٤ – النَّص اليوناني للقُداس الغريغوري كما أورده العالم رونودوت E. Renaudot .

٥ – وهي صلاة الحجاب من وضع القُدس يوحنا المثلث الطوبى أُسقف بصرى Postra .

٦ – وهو الاستدعاء الثاني في القُداس المرقسي.

٧ – طبقاً لنص بردية دير البلايزا بالقرب من أسيوط، والتي تمَّ اكتشافها سنة ١٩٠٧م، وتعود إلى القرن السَّادس الميلادي، وتحوي النَّص اليوناني لليتورجية القُدس مرقس الرُّسول.

٨ – بحسب مخطوط كسمارسك والذي يحوي النَّص اليوناني للقُداس المرقسي: ”... لكي كإله كَلِّي القدرة، يتباركا، ويتقدَّسا، ويتكَمَّلا“.

وهذا هو الاستدعاء الثالث في القُداس المرقسي.

## (٢) حلول الرُّوح القُدس علينا في فكر آباء الكنيسة

## • كان يلزم أن يصعد المسيح إلى السَّماء، لكي يحل فينا الرُّوح القُدس

قال الرَّب لتلاميذه: «إنه خيرٌ لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي. ولكن إن ذهبتُ أرسله إليكم» (يوحنا ١٦: ٧). ويشرح القُدس كيرلس الكبير هذه الآية فيقول:

[إن كلَّ أعمال الرَّب على الأرض قد تكملت كما قلنا، غير أنه كان يلزم أن نصير شركاء لطبيعة اللُّوغوس الإلهية، أو بالحري أن نطرح عنَّا حياتنا الخاصة السابقة، ونتحوَّل إلى حياة أخرى، بأن يتغيَّر أعماق كياننا إلى حياة جديدة تُسر الله. ولكن كان من المستحيل أن نصل إلى هذه الغاية بوسيلة أخرى غير المشاركة في الرُّوح القُدس. ولذلك فأكثر وقت مناسب لإرسال الرُّوح القُدس وحلوله علينا، كان ... وقت انطلاق مخلصنا المسيح. لأنه طالما كان حاضراً بالجدس مع المؤمنين به، كان يُعتبر هو مصدر كلِّ بركة. ولكن لما دعت الضَّرورة إلى عودته إلى الآب في السَّموات، كان من أهم ما يمكن، أن يتحد بالمؤمنين به بواسطة الرُّوح، وأن يحل بالإيمان في قلوبهم، حتى إذ نفتنيه حاضراً في داخلنا، نستطيع أن نصرخ بدالة «يا آبا الآب»، وأن نتقدَّم بنشاط في كلِّ فضيلة، وأن نوجد أقوياء وصامدين أمام مكائد الشيطان وعداوة النَّاس الأشرار، إذ نملك داخلنا الرُّوح القادر على كلِّ شيء] (شرح إنجيل يوحنا ١٦: ٧).

## • العلاقة بين نفخة الرَّب للرُّوح القُدس في وجه التلاميذ وبين إرسال الرُّوح القُدس يوم الخميس

يقول الكتاب المقدس عن السيِّد المسيح بعد قيامته، «فقال لهم يسوع أيضاً، سلامٌ لكم. كما أرسلني الآب، أرسلكم أنا. ولما قال هذا، نفخ وقال لهم: اقبلوا الرُّوح القُدس. من غفرتم خطاياهم تُغفر له، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت» (يوحنا ٢٠: ٢١-٢٢). وعن شرح هذه الآية، يقول القُدس كيرلس الكبير:

[بعد أن كَرَّم (الرَّب) الرُّسُل القُدسين، وميَّزهم بامتياز الرِّسولية الجيد، وأقامهم خُدَّاماً وكهنة للمذبح الإلهي، على الفور قدَّسهم بإعطاء روحه لهم بعلامة منظورة أي "نفخته"، وهذا يُثبت اعتقادنا بأنَّ الرُّوح القُدس ليس غريباً عن الابن ...

كان الرُّسُل سيعجزون تماماً عن فهم سرِّ المسيح، وما كانوا يستطيعون أن يصيروا مرشدين حقيقيين للآخرين في هذه المعرفة، لو لم يكونوا قد سبقونا في الحصول على نور الرُّوح، لكي يُعلنوا لنا هذه الأسرار التي تفوق عقل الإنسان وقدرته على الفهم. لأنَّ الرُّوح وحدَه، هو الذي يقدر على أن يُعطي لهم إدراك الإعلانات العالية التي كانوا سيرتفعون إليها، لأنه لا يستطيع أحد أن يقول إنَّ يسوع ربٌّ - كما قال بولس - إلاَّ بالرُّوح القُدس (١ كورنثوس ١٢: ٣). ولما كانوا قد اختيروا للكراسة بيسوع، بأنه إلهٌ وربٌّ، كان من الضَّروري أن ينالوا نعمة الرُّوح القُدس في ارتباط مباشر بالوظيفة الرِّسولية. ولذلك أعطاهم المسيح الرُّوح القُدس، ليس لأنَّ المسيح يخدم الرُّوح القُدس، بل هو يعطيه من ذاته، لأنَّ الرُّوح القُدس، لا يحلُّ علينا، ولا ينزل من عند الآب إلاَّ من خلال الابن ...

ولكن لأنَّ البعض قد يسأل بسبب محبته للمعرفة - وهذا حسن جداً - أين ومتى أخذ الرُّسُل نعمة الرُّوح القُدس؟ هل عندما ظهر لهم المخلص بعد قيامته ونفخ وقال لهم اقبلوا الرُّوح القُدس، أم في أيام العنصرة عندما كانوا مجتمعين معاً، وفجأة جاء من السَّماء صوت كهبوب ريح عاصفة، وظهرت لهم السنة من نار منقسمة، واستقرت على كلِّ واحد منهم، وبدأوا يتكلمون بالسنة الأخرى كما أعطاهم الرُّوح أن ينطقوا (أعمال: ٢-٤)؟

أم أننا نفترض أنهم نالوا نعمة مضاعفة في يوم الخميس؟

أم أننا يجب أن نبقي جاهلين المناسبة التي فيها صار الرُّسُل شركاء الرُّوح القُدس؟

فإذا كان ما ذكره مخلصنا هنا، وما هو مكتوب في سفر الأعمال، صحيحًا، فإنَّ السؤال يُغرينا بالبحث، خصوصًا لأنَّ المسيح نفسه قال: «خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق، لا يأتيكم المعزى، ولكن متى ذهبته سوف أرسله إليكم» (يوحنا ١٦: ٧).

ومن يسأل سوف يقول أيضًا: إنَّ الحق الذي هو المسيح، لا يكذب. وعندما يقول بكلمات واضحة إنَّ المعزى لن يأتي للتلاميذ إلا إذا ذهب هو للأب، وأنه متى ذهب للأب سوف يُرسله، أي متى صعد إلى السَّماء وجلس عن يمين الأب. فكيف أعطى الرُّوحَ القُدُسَ فور قيامته وقبل صعوده؟

وبحثُ هذا الموضوع محيرٌ وغامضٌ جدًّا، إذا لم نتذكَّر إيماننا في المسيح، الذي هو الإله القادر على أن يضبط كلَّ كلماته، وأن يعطى المعاني الدَّقيقة لكلِّ كلمة يقولها.

لقد أعلن المسيح أنه سيُرسل لنا من السَّماء، المعزى، عندما يصعد إلى الله الأب. وبكلِّ يقين فعل هذا. لأنه بعد صعوده، سكب الرُّوحَ بغزارة على كلِّ الذين كانوا يرغبون قبوله. لأنَّ كلَّ إنسان، يستطيع قبول الرُّوحِ القُدُسِ بالإيمان والمعمودية المقدَّسة. كما قال النَّبي «سأسكب من روحي على كلِّ جسد» (يوئيل ٢: ٢٨). ولكن كان من الضَّروري بالنسبة لنا، أن نرى الابن يمنح لنا مع الأب، الرُّوحَ القُدُسَ. لأنَّ الذين آمنوا به (بالابن) كان ضروريًا لهم، أن يؤمنوا أنه قوَّة الأب الذي خلق العالم كله، وخلق الإنسان من العدم.

لأنَّ الله الأب في البدء بكلمته، أخذ من تُراب الأرض - كما هو مكتوب - وخلق الإنسان كائنًا حيًّا، له نفسٌ عاقلة حسب إرادته، وأناره بنصيب من روحه «ونفخ في أنفه نسمة الحياة» (تكوين ٢: ٧). ولكن عندما سقط الإنسان بعصيانه، واستُعيد لقوَّة الموت، وفقد كرامته القديمة، أعاده الله الأب وجدَّده إلى الحياة الجديدة بالابن، كما كان في البدء. وكيف جدَّده الابن؟ بموته بالجسد ذبح الموت، وأعاد الجنس البشري إلى عدم الفساد، عندما قام من الموت لأجلنا. ولكي نعلم أنه هو الذي في البدء خلقنا وختمننا بالرُّوحِ القُدُسِ، لذلك يمنح مخلصنا الرُّوحَ القُدُسَ من خلال العلامة المنظورة أي "نفخته" للرُّسل القديسين، لأنهم باكورة الطَّبيعة البشريَّة المجدَّدة.

وكما كتَبَ موسى عن الخلق الأوَّل أنَّ الله نفخ في أنف الإنسان نسمة الحياة، يحدث نفس الشَّيء الذي حدث في البدء، عندما مجدَّد الله الإنسان، وهو ما يسجِّله يوحنا هنا. وكما خلق الإنسان في البدء على صورة خالقه، كذلك الآن بالاشتراك في الرُّوحِ القُدُسِ، يتغيَّر إلى صورة خالقه، ويصبح على مثاله. ولا يوجد لدينا أدن شك، في أنَّ الرُّوحَ القُدُسَ، هو الذي يختم صورة المخلص على قلوب الذين يقبلون المخلص ...

أمَّا في أيام العنصرة المقدَّسة، فقد أعلن الله علانية نعمته، وأظهر مجيء الرُّوحِ القُدُسِ لكلِّ، وليس للتلاميذ فقط. ولذلك، ظهر مجيء الرُّوحِ القُدُسِ، بشكل ألسنة نارِيَّة، ولم يكن هذا بالنسبة للتلاميذ بداية نعمة الرُّوحِ القُدُسِ الذي سكن في قلوبهم، ولكن بداية نعمة التَّكلم بالأسنة. كما هو مكتوب أنهم بدأوا يتكلمون بألسنة كما أعطاهم الرُّوحُ أن ينطقوا (أعمال ٤: ٢). وهذا يعنى بداية التَّكلم بالأسنة، وليس بداية التَّقديس، لأنَّ العنصرة بداية عمل العطايا المتنوعة، لاسيَّما الألسنة المختلفة، أي بداية عمل الرُّوحِ القُدُسِ الذي فيهم.

وكمثال على صحَّة ما نقول، لقد تكلم الأب من السَّماء، وشهد عن ابنه قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرت» (متى ١٧: ٢)، ولم تكن هذه بداية الابن، بل بداية الإعلان عنه، لكي يُكَمَّل بهذا الإعلان، معرفة الذين سمعوا صوته. وكما جعل صوته يصل مثل نغمة إلى الأذان، هكذا أيضًا يوم العنصرة، جعل ظهور وإعلان النعمة التي وُهبَت للتلاميذ القديسين، بشكل ألسنة نارِيَّة، وجعل نزول الرُّوحِ القُدُسِ يشبه صوت ريح عاصف (أعمال ٢: ٢). كان كلُّ هذا علامة لليهود، وسوف يظهر ذلك بكلِّ وضوح إذا سمعنا كلمات الله ربِّ الكلِّ قائلاً على

لسان النَّبِيِّ: «بدوي ألسنة أُخرى، وبشفاعة أُخرى، سأكلّم هذا الشعب» (إشعياء ٢٨: ١١، ١ كورنثوس ١٤: ٢١).

ولكي نؤمن أنّ التَّلاميذ القُدّيسين قد اشتركوا فعلاً في الرُّوح القُدُس، وأنهم قد أكرموا بنعمة المسيح التي من فوق، ووهبوا أن يشرحوا الحق، وأنّ مجد رسوليّتهم يستحق كل الإعجاب، قدّمت لهم الشَّهادة يوم الخميس بالعظية التي من فوق، أي بمجيء النَّار في شكل ألسنة، وبنزول الرُّوح على شكل ريح عاصف].

### • الرُّوح القُدُس هو الذي يطبع فينا صورة المسيح لتنتقل إلينا كل أفعال المسيح الخلاصية التي أكملها من أجلنا

هذا هو ما يقول السيّد المسيح عن الرُّوح القُدُس، بأنه «يأخذ ممّا لي ويعطيكم» (-) يقول القُدّيس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م):

[روحُ المسيح مخلصنا هو بمثابة صورته الخاصة، وهو يطبع فينا الصُّورة الإلهية بطريقة ما بواسطة نفسه ... إذ هو يعجن ويُعيد تشكيل أولئك الذين يحل فيهم بالمشاركة، ليكونوا على صورة الابن، حتى إذا ما رأى الله الآب فينا ملامح ابنه الخاص اللاتئة به، يحبنا نحن أيضاً كأولاد له، ويُشرق علينا بالكرامات الفائقة لهذا العالم!] (العظة الفصحية ١٠: ٢).

ويقول البابا أثناسيوس الرسولي:

[حيث أنه هو روح الله، فبسبب كونه فينا، نُعتبر بحق، إذ قد اقتنينا الرُّوح، أننا في الله وكذلك أن الله فينا. غير أننا لا نكون في الآب. ممثّل ما يكون الابن في الآب، لأنّ الابن لا يشترك في الرُّوح ليصير بواسطته في الآب، وهو لا ينال الرُّوح، بل بالحري هو الذي يُعطيه للجميع. والرُّوح القُدُس لا يربط الكلمة بالآب، بل بالحري الرُّوح يأخذ ممّا للكلمة.

والابن في الآب لكونه كلمته الخاص وبهاءه، أمّا نحن فبدون الرُّوح القُدُس نكون غرباء وبعيدين عن الله. ولكنّا بشركة الرُّوح القُدُس نتحد باللاهوت، حتى أنّ وجودنا في الآب أمرٌ لا يخصّنا نحن، بل يخصّ الرُّوح القُدُس الكائن فينا والثابت فينا] (ضدّ الأريوسيين ٣: ٢٤).

ويقول القُدّيس كيرلس الكبير:

[المسيح فينا بواسطة الرُّوح القُدُس] (شرح إنجيل يوحنا ١٤: ٢٠).

كما يشرح القُدّيس كيرلس الكبير أيضاً، أنّ الرُّوح القُدُس هو الذي يطبع فينا صورة المسيح، إذ يُعيد رسم طبيعتنا بحسب الجمال المثالي الأصلي، ويجعل الإنسان مرّةً أُخرى على صورة الله] (الكنز في التَّالوث ٣٤).

ويقول القُدّيس كيرلس الكبير:

[الابن هو صورة الآب الكاملة، وروح الابن هو مشابهة طبيعية له، ولذلك فإنّ الرُّوح حينما يُعيد تشكيل نفوس النَّاس إلى شكله الخاص، فهو يطبع عليها - بنوع ما - الشَّكل الإلهي، ويختتمها بصورة الجوهر الفائق الكل!] (شرح إنجيل يوحنا ١٧: ٢٠، ٢١).

ويقول القُدّيس كيرلس الكبير أيضاً:

[المسيح يتصوّر فينا ... بأن يغيّرنا الرُّوح القُدُس تغييراً جذرياً من صفاتنا البشريّة إلى صفاته هو. وفي ذلك يقول لنا بولس الطُّوباوي: «وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الرُّوح» (رومية ٨: ٩). فمع أنّ الابن لا يحوّل أحداً قط من المخلوقين إلى طبيعة لاهوته الخاص - لأنّ هذا مستحيل - إلاّ أنّ سماته الرُّوحية ترسم بنوع ما في الذين صاروا شركاء طبيعته الإلهية بقبول الرُّوح القُدُس. وبهاء لاهوته غير المفحوص يضيء مثل البرق في نفوس القُدّيسين] (ضدّ نسطور ٣: ٢).

## • الرُّوح القُدس الواحد هو الذي يهب المواهب المتنوعة للكنيسة

يقول القُدس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م):

[كما أن قوَّة الجسد المقدس (في سرِّ الإفخارستيا) تجعل الذين يحلُّ فيهم جسداً واحداً بالتَّمام، كذلك ... روحُ الله حينما يحلُّ في الجميع، وهو واحد وغير قابل للانقسام، فهو يجمع الجميع إلى الوحدة الرُّوحية] (شرح إنجيل يوحنا ١٧:٢١).

ويقول القُدس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م):

[لماذا يدعو الرَّبُّ نعمة الرُّوح القُدس ماءً؟ (يوحنا ٤:١٤؛ ٣٨:٧؛ ٣٩) ذلك لأنَّ قوام كلِّ شيء يكون بالماء ... ولأنَّ الماء ينزل واحداً في شكله ولكنَّه يتنوَّع في مفعوله، فإنَّ ينبوعاً واحداً يسقي الفردوس كله (تكوين ٢:١٠)، والمطر الواحد بعينه ينزل على العالم كله، فيصير أبيضَ في السُّوسنة وأحمرَ في السوردة، وأرجوانياً في الزُّنبقة والبنفسج، ويتنوَّع ويتشكَّل بصور متعدِّدة، فهو في النَّخلة غير ما يكون في الكرمة، وهو يصير في الكلِّ كلَّ شيء، مع بقائه واحداً في طبعه، ... فإنَّ المطر لا يغيِّر ذاته وينزل بصور مختلفة عن بعضها، ولكنَّه يتكيَّف مع طبيعة الكائنات التي تقبله، فيصير لكلِّ واحدة منها بما يناسب تكوينها. وهكذا الروح القدس أيضاً وهو واحد بطبعه وغير منقسم، لكنه يقسِّم النِّعمة على كلِّ واحد كما يشاء (١ كورنثوس ١٢:١٢) (عظة ١٦:١٢).

هذا هو بعينه قول القُدس بولس الرسول: «لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً، اعتمدنا إلى جسد واحد ... وجميعنا سقينا روحاً واحداً» (١ كورنثوس ١٢:١٣).

وفي ذلك يقول القُدس كيرلس الكبير:

[إن كان هو نفسه (أي المسيح) نهر الله المملوء ماءً بحسب قول المزمور (١٠٦:٦٤ سبعية)، ووادي النِّعم الذي يسقي منه الله الأب الذين يحبونه، فكيف لا يُعتبر روحه شراباً وماءً محبباً؟] (شرح رسالة كورنثوس الأولى ١٢:١٣).

وفي شرح القُدس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) لهذه الآية يقول:

[إن كان قد وُحِدَ أفراداً مختلفين يمثل هذا المقدار، وصيِّرَ الكثيرين جسداً واحداً، فما بالك تبحث في كلِّ صغيرة وكبيرة عن الفرق بينهم؟!] (العظة ٣٠).

## في الختام

أحتم بقول للقُدس أنبا مقار الكبير (٣٠٠-٣٩٠م)، يقول فيه:

[كما أن حياة الجسد في العالم هي النَّفس، كذلك حياة النَّفس في العالم الأبدى السَّماوي، هي روحُ الله! ... لذلك يجب على من يطلب الإيمان والاقتراب إلى الرَّبِّ، أن يلتمس نوال الرُّوح الإلهي منذ الآن، لأنه هو حياة النَّفس! ولهذا الغاية أكمل الرَّبُّ مجيئه ليمنح النَّفس روحه القدوس منذ الآن، حياة لها ... فإن كان أحد لا يطلب منذ الآن وينال نور الرُّوح الإلهي، حياة لنفسه، فإنه عند خروجه من الجسد يُطرح على اليسار في مواضع الظُّلمة، ولا يدخل ملكوت السَّموات ... وأما النَّفس التي تسلك في نار الرُّوح القُدس وفي الثُّور الإلهي، فإنها لا تُصاب بضرر من الأرواح الشريرة؛ بل إذا ما اقترب أحدهم منها، فإنه يحترق من النَّار السَّماوية التي للرُّوح] (العظة ٣٠:٥، ٦).

وهكذا يظلُّ الرُّوح القُدس يعمل في الكنيسة كلِّ يوم، ليهيئ أولادها ليوم المحيى الثاني الذي يأتي فيه الرَّبُّ، لسيدين المسكونة بالعدل، ويعطي كلِّ واحد كأعماله. إذ تصلي الكنيسة كل حين قائلة: "أظهرت لي إعلان مجيئك، هذا الذي تأتي فيه لتدين الأحياء والأموات، وتعطي كلِّ واحد كأعماله".

هذا اليوم العظيم المهبوب جدًّا، الذي يقول عنه البابا أناسيوس الرِّسولي:

[لكي تتعلَّم أنت أيضاً عن ظهوره الثَّاني الإلهي الحقيقي المجيد لنا، حيث لا يظهر بعد في اتضاع بل في مجده، ولا يظهر بعد متخفياً متواضعاً بل في عظمته. وهو سيأتي، لا لكي يتألم ثانية، بل ليقدم للجميع ثمار صليبه، أي القيامة وعدم الفساد، ولا لكي يُحكم عليه بعد، بل لكي يحكم على الجميع حسبما صنع كل واحد في الجسد، خيراً كان أو شراً، حيث أعدَّ للصَّالحين ملكوت السَّموات، أمَّا للذين عملوا السيِّئات فالنَّار الأبديَّة والظلمة الخارجية ... لهذا السَّبب عينه، نجد أيضاً كلمة للمخلص تُعدِّنا لذلك اليوم، إذ يقول «كونوا مستعدِّين واسهروا، لأنه يأتي في ساعة لا تعلمونها»<sup>(٩)</sup> وكما قال المغبوط بولس «لا بد أنَّا جميعاً نقف (نظهر) أمام كرسي المسيح، لينال كلُّ واحد بحسب ما صنع في الجسد خيراً كان أم شراً»<sup>(١٠)</sup>] (تجسُّد الكلمة ١:٥٦-٥).

وهكذا تظل الكنيسة كلَّ يوم تردِّد قانون إيمانها قائلة:

– «ويأتي في مجده، ليدين الأحياء والأموات ... الذي ليس مُلكه انقضاء ... ومنتظر قيامة الأموات وحياة الدَّهر الآتي».

كما تُصلي في قُدَّاساتها وتقول:

– «ورسم يوماً للمجازاة، هذا الذي يظهر فيه، ليدين المسكونة بالعدل». فاعطنا ألا نخزي في يوم الحُكم الحقيقي، هذا الذي فيه يأخذ كل واحد مجازاة.

القُدَّاس الكيرلسي .....

– «فأعطني أن أخدم اسمك القُدُّوس المكرَّم بغير سكوت، لكي أجد أُجرة الوكيل الأمين الحكيم في يوم مجازاتك الحقيقية، ويشترك شعبك في الخيرات الأبديَّة التي وعدتَ بها محبِّيك».

بابنك الوحيد، الذي به لك المجد والقُدرة في الرُّوح القُدُس، الآن وكلَّ أوان، وإلى كلِّ آباد الدُّهور. آمين.